رغم تقدم الطب.. لماذا قد نكون أقل صحة من آبائنا؟



نخيل نيوز ـ متابعة

رغم التقدم الكبير في الطب ووسائل التشخيص والعلاج، تشير أبحاث حديثة إلى مفارقة لافتة: بعض الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم اليوم بين 46 و61 عاما يعانون مشكلات صحية مزمنة بمعدلات أعلى من الأجيال السابقة عندما كانت في العمر نفسه، ما يثير تساؤلات بشأن تأثير أنماط الحياة الحديثة في الصحة، وما إذا كانت المكاسب الطبية قد ترافقت مع تراجع بعض المؤشرات الصحية.

ولا تعني المقارنة أن شخصا يبلغ 55 عاما اليوم أسوأ صحة من والده البالغ 80 عاما، وإنما تقارن الحالة الصحية لأشخاص في أعمار متشابهة، لكن في فترات زمنية مختلفة.

أرقام تكشف المفارقة

أظهرت دراسة أجراها باحثون في جامعة كوليدج لندن، ونشرت نتائجها في 11 نوفمبر 2026، أن البريطانيين المولودين عام 1970 سجلوا مؤشرات صحية أسوأ من مواليد عام 1958 عندما بلغوا أعمارا مماثلة.

واعتمد الباحثون على بيانات نحو 8 آلاف شخص ولدوا في بريطانيا عام 1970، وجرى تقييم صحتهم بين عامي 2021 و2024، عندما كانوا في أوائل الخمسينيات.

وأظهرت النتائج أن 41 بالمئة من مواليد عام 1970 وصفوا صحتهم بأنها جيدة جدا أو ممتازة، مقابل 50 بالمئة من مواليد عام 1958.

كما بلغت نسبة السمنة 32 بالمئة لدى المجموعة الأحدث، مقابل 26 بالمئة لدى المجموعة السابقة، فيما ارتفعت نسبة من سبق تشخيص إصابتهم بالسكري من 6 إلى 9 بالمئة.

وتشير هذه الفروق إلى تراجع بعض المؤشرات الصحية خلال 12 عاما فقط بين جيلين وصلا إلى المرحلة العمرية نفسها.

ماذا عن الصحة النفسية؟

لم تقتصر الفروق على الصحة البدنية، إذ أظهرت الدراسة أن 20 بالمئة من مواليد عام 1970 عانوا أعراض ضيق نفسي، بينما سبق لثلث المشاركين تقريبا مراجعة طبيب بشأن صحتهم النفسية.

وكانت النساء أكثر عرضة لهذه الأعراض، بنسبة 26 بالمئة مقابل 15 بالمئة لدى الرجال.

كما أفادت 42 بالمئة من النساء المولودات عام 1970 بأنهن راجعن طبيبا بشأن صحتهن النفسية، مقابل 32 بالمئة من مواليد عام 1958 عند عمر مماثل.

لكن الباحثين يحذرون من اعتبار هذه الفروق دليلا قاطعا على تدهور الصحة النفسية، إذ قد تعكس أيضا زيادة الوعي

وتراجع الوصمة المرتبطة بطلب المساعدة.

لماذا تتراجع الصحة؟

لا تقدم الدراسة سببا واحدا لهذه الفروق، لكنها تفتح الباب أمام تفسيرات محتملة، بينها تغير أنماط الغذاء والعمل والنشاط البدني، وانتشار الأطعمة فائقة المعالجة، وزيادة الوقت الذي يقضيه كثيرون في الجلوس.

كما يواجه الأشخاص في هذه المرحلة العمرية ضغوطا متزامنة تتعلق بالعمل وتربية الأبناء ورعاية الوالدين المتقدمين في العمر.

غير أن هذه العوامل تظل تفسيرات محتملة، وليست أسبابا أثبتت الدراسة مسؤوليتها المباشرة عن النتائج.

وكشفت الدراسة كذلك عن تأثير الظروف الاقتصادية، إذ وصف 59 بالمئة من أصحاب الدخول المرتفعة صحتهم بأنها ممتازة أو جيدة جدا، مقابل 24 بالمئة فقط بين الأقل دخلا.

وبلغت نسبة الإصابة المشخصة بالسكري 13 بالمئة لدى الأقل دخلا، مقابل 5 بالمئة لدى الأعلى دخلا.

هل نعيش أطول ولكن بصحة أسوأ؟

تتفق النتائج مع دراسة أوسع نشرت عام 2024، وشملت أكثر من 114 ألف شخص في الولايات المتحدة وإنجلترا و11 دولة أوروبية.

ووجد الباحثون ارتفاعا في معدلات الأمراض المزمنة المشخصة لدى الأجيال الأحدث مقارنة بالأقدم عند أعمار مماثلة، مع تباطؤ التحسن في بعض مؤشرات الإعاقة.

لكن ارتفاع التشخيصات لا يعني بالضرورة تراجع الصحة بالنسبة نفسها، فقد يعكس جزئيا تحسن وسائل الكشف المبكر.

ورغم النتائج المقلقة، فإن كثيرا من عوامل الخطر قابل للتعديل، من خلال النشاط البدني والتغذية المناسبة ومراقبة ضغط الدم والسكر والكوليسترول.

وتبقى الرسالة الأساسية أن التقدم الطبي وحده لا يضمن صحة أفضل للأجيال المتعاقبة، ما لم يصاحبه تحسن في أنماط الحياة والظروف الاقتصادية والاجتماعية.

فالتحدي لم يعد مجرد إضافة سنوات إلى عمر الإنسان، وإنما ضمان أن يعيش تلك السنوات بصحة أفضل.